ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr.. Fawzi Khairy Kazem

Imam Al-Kadhim College for Islamic Sciences, University / Wasit Departments

Email:
FAWZY1000@GMAIL.COM

Keywords:

Blogging, writing tools, Mesopotamia, civilizations.

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 29.Dec.2021

Accepted 17Feb.2022

Published 28.Feb.2022

The development of writing materials and their impact on the flourishing of blogging

A B S T R A C T

The research focused on the gradual development of writing tools during different ages, such as paper and its stages of development, and the pen and inks used in writing, which had a great impact on the flourishing of writing and codification among scholars, in addition to the state's care and honor for their products; Therefore, science has flourished and blogging is most booming .

It is obvious that the development of writing and codification is accompanied by the development of its tools of pen, paper and other necessary necessities Perhaps the most important stage in the development of writing materials is the transition of the paper industry from its country of origin to the capital of culture, literature and science, Baghdad during that period, which was the leader in the development of most sciences and arts. In order to shed light on the stages of development of blogging and writing, we have chosen it to be the subject of our research, which we called ((The Evolution of Writing Materials and its Impact on the Prosperity of Blogging)), in order to get acquainted with the stages of this development, with a historical overview of it in ancient civilizations, until the middle of the Abbasid era

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol2.Iss47.3060

تطور مواد الكتابة وأثرها في ازدهار التدوين

م.د. فوزي خيري كاظم
كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة / أقسام واسط

المستخلص:

ركز البحث على التطور التدريجي لأدوات الكتابة خلال العصور المختلفة كالورق ومراحل تطوره والقلم والأحبار المستخدمة في الكتابة، مما كان له الأثر البالغ في ازدهار التأليف والتدوين عند العلماء، هذا فضلاً عن رعاية الدولة لنتاجاتهم وتكريمهم؛ لذا فقد ازدهرت العلوم والتدوين فيها ابلغ ازدهار.

ومن البديهي أن يرافق التطور بالكتابة والتدوين، تطور أدواتها من قلم وورق وغيره من المستلزمات الضرورية، فكلما تطورت الأدوات تطور الكتابة وتقدمت، وأصبح من السهولة بمكان التأليف والنسخ ونشر الثقافة لتصل إلى الجميع دون استثناء .

ولعل أهم مرحلة في مراحل تطور مواد الكتابة هي انتقال صناعة الورق من بلدها الأصلي إلى عاصمة الثقافة والأدب والعلوم بغداد في تلك الفترة التي كانت الرائدة في تطور أغلب العلوم والفنون. ولتسليط الضوء على مراحل تطور التدوين والكتابة، فقد اخترناه ليكون موضوعاً لبحثنا هذا والذي أسميناه ((تطور مواد الكتابة وأثرها في ازدهار التدوين))، لنتعرف من خلاله على مراحل هذا التطور، مع نبذة تاريخية عنها في الحضارات القديمة، حتى منتصف العصر العباسي.

الكلمات المفتاحية: التدوين، ادوات الكتابة، وادي الرافدين، الحضارات.

المقدمة

لا يخفى على الجميع أهمية التدوين التاريخي في تطور الإنسان وتقدمه، ونقله من الظلمة إلى النور، وأن تقدم الإنسان العلمي إنما يقاس بالكتابة في مختلف العلوم والفنون .

ولابد من أن يرافق التطور بالكتابة والتدوين، تطور أدواتها من قلم وورق وغيره من المستلزمات الضرورية، فكلما تطورت الأدوات تطور الكتابة وتقدمت، وأصبح من السهولة بمكان التأليف والنسخ ونشر الثقافة لتصل إلى الجميع دون استثناء .

ولقد شهدت أدوات الكتابة تطوراً ملحوظاً على مر العصور؛ فمن مجرد أقلام حجرية أو معدنية يُكتب بها على الصخور أو الرُقم الطينية، أصبحت الأقلام تصنع من القصب أو الخشب، وبدلاً من الطرق بالمطرقة، أصبح هناك مواد وأحبار مختلفة الأنواع والألوان، تترك أثراً جميلاً على ورقٍ أضحى يُصنع من أنواع مختلفة من القماش أو الخشب أو الألياف .

فتطور – تبعاً لتطور تلك المواد – الكتابة في كل الميادين . وأزدهر التدوين، وتضاعف نتاج المؤلفين والكتاب في ميادين العلم والمعرفة. ولتسليط الضوء على مراحل تطور التدوين والكتابة، فقد اخترناه ليكون موضوعاً لبحثنا هذا والذي أسميناه **((تطور مواد الكتابة وأثرها في ازدهار التدوين))**، لنتعرف من خلاله على مراحل هذا التطور، مع نبذة تاريخية عنها في الحضارات القديمة، حتى منتصف العصر العباسي.

مواد الكتابة في الحضارات القديمة

إن أي استعراض لتاريخ التدوين والكتابة التاريخية لابد وأن يبدأ بالتعرف على مواد الكتابة، والتي كان لتطورها الأثر الكبير في تطور التدوين .

فالكتابة التاريخية – كما هو معلوم – بدأت بأبسط أشكالها فيما كان يسمى بالكتابة الصورية في حدود ٣٥٠٠ ق.م، في العصر المسمى الشبيه بالكتابي[١] . ثم دفعت الحاجة بالسومريين إلى استنباط الكتابة لتسجيل وضبط واردات المعبد وحساباتها وغير ذلك من مما يتعلق بالشؤون الاقتصادية ؛ لأن المعبد كان مركز الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية آنذاك[٢] .

ولتسليط الضوء على المراحل التي بدأت فيها الكتابة، لابد وأن نستعرض تطور مواد الكتابة في حضارات العالم القديمة بإيجاز :-

حضارة وادي الرافدين

كان اختراع الكتابة من أهم مقومات الحضارة العراقية القديمة، وقد ظهرت بوادرها في الألف الثالث قبل الميلاد، وفي أول أطوارها كانت تتألف من ألفي علامة صورية، ثم تطورت بعد ذلك لتصبح علامات مسمارية، وأختُصرت العلامات في بداية الألف الثاني قبل الميلاد إلى ما يقرب من ٥٠٠ علامة فقط[٣] .

وأستعمل السومريون في الكتابة قلماً مثلث الشكل، ليكون أحد طرفي الخط الذي يحفره أعرض من الطرف الآخر، ومن هنا اتخذت أشكال العلامة التاريخية طابعاً جديداً وهو ما أصبح يدعى **(الكتابة المسمارية)**[٤] .

كما أستخدم الألواح والرُقم الطينية للكتابة عليها، فضلاً عن الصخور[٥] . وامتازوا على من جاورهم من شعوب ذلك الزمان بتفوقهم الحضاري الذي يعود إلى الطريقة التي ابتكروها للكتابة، فقد كان الكاتب يطبع العلامات على الطين وهو لا يزال طرياً بواسطة قلم من الخشب أو القصب مثلث الرأس، فيقوم بإملاء وجه الرُقيم والحافة، وبعد أن يجف الوجه يبدأ بإملاء الوجه الثاني والحافة أيضاً، وفي بعض الأحيان تكون الحافات خالية من الكتابة، ثم تجفف هذه الالواح بتعريضها للشمس[٦].

أما البابليون، فقد استعملوا – فضلاً عن الرُقم الطينية – حجر الديوريت الأسود، والذي يمتاز بصلابته الشديدة، في الكتابة وبالتحديد في نقش المسلات والمدونات، وتكون في الغالب على شكل عمود اسطواني طويل[٧] .

وأهتم الآشوريون بالكتابة مستخدمين الرُقم الطينية، كما استخدموا الواحاً من العاج مستطيلة الشكل ومتصلة مع بعضها بأسلاك من النحاس تؤلف بمجموعها ما يشبه الكتاب[٨] .

كما استخدموا أيضاً الخشب كمادةٍ للكتابة، على الرغم من أن استخدامه كان محدوداً جداً، ويبدو أن السبب في عدم استعماله بكثرة يعود إلى صعوبة حفر العلامات عليه، إلا أنه وجدت إشارات في بعض النصوص إلى ألواح الأرز والسرو التي استخدمت لهذا الغرض، حيث استخدم الخشب المغلف بصفيحةٍ من النحاس لرسم انتصارات الملك شلمنصر الثالث (٨٥٨–٨٢٤ ق.م)، في إحدى معاركه[٩] .

شهدت بعد ذلك مادة الكتابة عند الآشوريين تطوراً، حيث استخدموا ألواح مستطيلة الشكل تقريباً من الخشب، مغطاةً بطبقةٍ خفيفة من الشمع لتسهيل مهمة طبع العلامات المسمارية عليها بواسطة الضغط، وكانت هذه الألواح يربط بعضها مع بعض بواسطة أحزمة جلدية مكونةً ما يشبه الكتاب[١٠] .

الفينيقيون (بلاد الإغريق)

استخدم الفينيقيون ألواح خشب الأرز المغطى بطبقة رقيقة من شمع العسل، أما القلم فكان من المعدن المدبب الطرف للكتابة على السطح الشمعي(١١) .

المصريون (بلاد وادي النيل)

كان المصريون القدماء أول من كتب على سطح أوراق النباتات ؛ فاستخدموا أوراق النخيل، حيث كانت تقطع شرائح طويلة من أوراق النخيل بعرض يقارب (٥ سم)، وتستخدم قطعة معدنية للكتابة – بمثابة قلم – ومن ثم تُملأ إشارات الكتابة بصبغ مصنوع من كاربون الرماد مما يميز الحروف ويوضحها(١٢).

وقد طوّر المصريون استخدام النباتات مادة للكتابة بصناعة القراطيس من نبات قصب البردي النامي بكثافة في وادي النيل آنذاك ؛ وتتلخص طريقتهم في صناعة القراطيس من البردي بأن يؤخذ قصب البردي ويُقطع بأداة حادة إلى شرائح طويلة ورفيعة، وتوضع هذه الشرائح على صفيحة جنباً إلى جنب حسب العرض المطلوب، ثم توضع طبقة أخرى منها عمودية على اتجاه الشرائح السابقة، بعدها تُدق بمطرقة ثقيلة فتتماسك الشرائح بفعل ما تحويه من مادة لاصقة، ثم تسوى أطرافها وينعم سطحها بحجارة ناعمة وتلصق مع بعضها من أطرافها لتكون على شكل لفافة ينتهي أحد طرفيها بخيط تربط به(١٣) .

الصينيون

وكان للصينيين القدماء طريقتهم الخاصة في صناعة الورق والأحبار، فهم أول من عمد إلى صناعتها معتمدين على مبدأ تفتيت المواد النباتية إلى أليافها الأولية ون ثم تجميع هذه الألياف بشكل صفائح للكتابة .

وكان صاحب هذا الاختراع موظف في البلاط الإمبراطوري يدعى (تساي ليون) والذي اقترح على الإمبراطور الصيني (هوتاي) سنة ١٠٥م، استخدم الحرير بدلاً من صفائح البامبو والكتابة عليه بالحبر، وقد نجح فيما بعد صناعة الورق من شباك صيد السمك وقلف أشجار التوت ولحائها، وقد كافأه الإمبراطور على ذلك بتعيينه نبيلاً في البلاط سنة ١١٤م(١٤) . وقد بقيت هذه الصناعة حكراً على الصينيين والمناطق المحيطة بها عدة قرون.

مواد الكتابة عند العرب قبل الإسلام

على الرغم من أن هذه الفترة من تاريخ العرب اتسمت بندرة الكتابة والاعتماد على الرواية الشفوية في نقل الأحداث التي تحصل ومناقلتها شفاهاً عبر العصور، إلا أن ذلك لا يعني أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا يعرفوا الكتابة وليس لهم خبرة بها، وإنما العكس ؛ فقد عرفوها كما عرفوا أدواتها وخاصة الورق الذي كان يأتيهم من البلاد المجاورة كبلاد فارس وبلاد الشام ومصر .

وقد أورد ابن النديم (ت ٤٣٨هـ) قائلاً: "أن العرب كانت تكتب في أكتاف الإبل واللخاف(١٥) وفي العب عسب النخيل"(١٦) . كذلك كتبوا بالرق وهو ما يرقق به من الجلد ليُكتب فيه(١٧) .

وعرفوا أيضاً أنواع أخرى من أدوات الكتابة مثل الأديم وهو الجلد الأحمر أو المدبوغ، وكذلك القضيم وهو الجلد الأبيض(١٨) .

ومما يدل على معرفة العرب بذلك ورود أسماء بعض المواد في القران الكريم والحديث الشريف ؛ لأن القران الكريم نزل بلغتهم ولم يستخدم كلمة لا معرفة لهم بها، قال تعالى: **{وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ }**(١٩) . كما ورد في الحديث الشريف: "**أن الرسول محمد (ﷺ) قُبض والقران في العسب والقضيم والكرانيف**"(٢٠).

كما عرف العرب المهارق، وهي الصحف البيضاء من القماش ومفردها مهرق، وهي لفظة فارسية، يذكر ابن النديم أنها كانت تستخدم عند الفرس ووصلت إلى العرب بسبب الاختلاط[٢١] .

نستنتج من ذلك كله أن العرب قبل الإسلام – على الرغم من اعتمادهم على الثقافة الشفوية – إلا أنهم عرفوا أدوات الكتابة واستعملوها، رغم أنهم استخدموها في نطاق ضيق، ويبدو أن السبب يعود إلى ما تعوده من الثقافة الشفوية في نقل الأحداث أو الافتخار وما إلى ذلك، وكذلك كانت مواد الكتابة مرتفعة الثمن، لهذا كانوا لا يلجأون إلى استخدامها إلا في الحالات الضرورية ككتب الدين أو كتب العهود والميثاق والأمان[٢٢] .

أثر الإسلام في تطور أدوات الكتابة

لا يخفى على الجميع أثر الإسلام في إحداث ثورة اجتماعية شاملة كانت تهدف إلى تغيير المجتمع المعروف آنذاك إلى مجتمع متمدن يمتلك كل مقومات الحضارة الإنسانية بما فيها العلم، وهذا ما أكدته أول آيات نزلت في القران الكريم، قال تعالى: **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ }**[٢٣] . فكانت الآيات الأولى تدعو المسلمين إلى طلب العلم، وطلبه يبدأ بتدوين القران والسنة، لذا كان من الطبيعي أن يكثر استخدام الكتابة والتدوين تدريجياً نتيجة تطور فكرة التدوين عند المسلمين أنفسهم .

وكان من الطبيعي أن تتداول داخل المجتمع الإسلامي الكثير من أنواع أدوات الكتابة (الورق والأقلام والحبر)، فتنوعت هذه الأنواع وصار قسم منها يستورد من البلدان المجاورة .

واستمرت أنواع الورق المتداولة قبل الإسلام بين العرب المسلمين وأُضيف إليها أنواع أخرى مثل القراطيس[٢٤] المصرية والتي ورد ذكرها في القران الكريم يقوله تعالى: **{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ}**[٢٥] .

وأصبحت أوسع انتشاراً من غيرها من المواد المستخدمة في الكتابة، ثم صار يُطلق على هذه الأنواع إجمالاً قراطيس[٢٦] .

والقرطاس – كما ذكرنا – كان يُصنع في مصر، وظلت هذه الصناعة مصرية خالصة بعد الفتح الإسلامي، وطوال القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني.

وذكر السيوطي (ت ٩١١هـ) تأكيداً على اختصاص مصر بصناعة القراطيس ما نصّه: "إن مصر أختصت بالقراطيس وهي الطوامير ويكون طول الطومار ثلاثين ذراعا وعرضه أكثر من شبر"[٢٧] .

وظل المسلمون يستخدمون القرطاس المصري حتى سنة ١٣٤هـ عندما دخلت صناعة الورق الصيني البلاد الإسلامية عن طريق الأسرى الصينيين الذين وقعوا في قبضة القائد العربي زياد بن صالح على أثر المعركة التي هزم فيها الصينيين وتمكن من فتح أواسط آسيا، وأدخلوا صناعة الورق إلى سمرقند في تلك السنة[٢٨] .

وكثرت صناعة الورق الصيني المصنوع في سمرقند والذي كان يسمى **(الكاغد)** والذي كان يُصنع من الألياف والحشائش، وكان ذا نوعية ممتازة فاقت جودتها باقي أنواع الورق المستخدم آنذاك، ونلتمس ذلك من خلال رأي ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ) في حديثه عن بلاد ما وراء النهر بالقول: "**أن لهم الكاغد الذي لا نظير له في الجودة والكثرة**"[٢٩] .

وقد غلب أسم الكاغد السمرقندي على هذا الورق عدة قرون، حتى قال الثعالبي (ت ٤٢٩هـ): "**أن كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الاوائل يكتبون بها، لأنه أحسن وأنعم وأرفق، ولا تكون الا بسمرقند والصين**"[٣٠] .

وهذا يدل على أن هذه النوعية من الورق كانت من أجود أنواع الورق المعروف آنذاك، وقد أحدث – على ما يبدو – ثورة في مجال التقدم بالتدوين والكتابة لرخص ثمنه وجودته، وأنه في متناول الجميع، حيث أصبح يُجلب إلى بغداد بكميات كبيرة .

وبالنظر لجودته هذه فقد أمر الخليفة هارون الرشيد (١٧٠هـ-١٩٣هـ) بأن "**لا يُكتب إلا به ؛ لأن الجلود ونحوها تقبل المحو والإعادة فتقبل التزوير، على عكس الكاغد فإنه متى ما محي فسد، وإن كشُط ظهر كشطه**"[٣١] .

ونتيجة لاستخدام هذا الورق بصورة واسعة، فقد شهدت هذه الفترة بداية النهضة العلمية في بغداد، ويرى شوقي أبو ضيف أن أحد أهم الأسباب التي قادت إلى هذه النهضة هو استخدام الورق بشكل واسع[٣٢].

وينسب المقريزي (ت ٨٤٥هـ) فضل إدخال الورق في الدواوين ووضعه بين أيدي الموظفين لاستخدامه في الكتابة إلى هارون الرشيد بإشارة وزيريه جعفر والفضل ابني يحيى البرمكي[٣٣]، ولعل ما يؤيد ذلك وجود نوع من الورق سُمّي بـ(الورق الجعفري) نسبة لجعفر بن يحيى البرمكي الذي يبدو إنه كان ينتج بإشراف مباشر من الوزير لذلك نُسب إليه[٣٤] .

ثم لم تلبث صناعة الورق أن انتقلت إلى العرب، حين أمر هارون الرشيد بجلب صُناع الورق من سمرقند وأنشأ أول معمل لصناعة الورق في بغداد في نهاية القرن الثاني الهجري، وتحديداً سنة ١٧٧هـ[٣٥].

وانتشرت بعد ذلك صناعة الورق في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فدخلت سوريا ومصر وشمال أفريقيا وإسبانيا وصقلية[٣٦] .

أنواع أدوات الكتابة

هناك أنواع عديدة من أدوات الكتابة استخدمت في الدولة على اختلاف عصورها منذ أن عرفت الدولة صناعة الورق في العصر العباسي، ومن هذه الأنواع:-

١-**الورق:** عرف المسلمون أنواعاً كثيرة من الورق منها:-

أ- الورق السليماني : وهو الورق المنسوب إلى سليمان بن راشد الذي كان والياً على خراسان في أيام هارون الرشيد[٣٧]

ب- الورق الطلحي: وينسب إلى طلحة بن طاهر (٢٠٧-٢١٣هـ)، وهو ثاني أمراء الدولة الطاهرية في خراسان .

ج- الورق النوحي: وهو المنسوب إلى نوح الساماني أحد أمراء الدولة السامانية التي حكمت تركستان وفارس(٣٨) .

د- الورق الفرعوني: وهو المصنوع في مصر نهاية القرن الثاني الهجري(٣٩).

هـ- الورق الجعفري: ويُنسب إلى جعفر البرمكي الذي قُتل سنة ١٨٧هـ[٤٠].

و- الورق الطاهري: وهو المنسوب إلى طاهر الثاني، أحد أمراء الدولة الطاهرية (٢٣٠-٢٤٨هـ) .

ز- الرق الجيهاني: وهو المنسوب إلى مدينة جيهان إحدى مدن خراسان[٤١] .

ح- الورق المأموني: وهو المنسوب إلى الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)[٤٢].

وهناك أنواع أخرى من الورق ذكرها كوركيس عواد، منها الكاغد المنصوري، والورق المنصوري، والورق الصلحي[٤٣] .

٢-القلم

القلم هو الأداة التي يُكتب بها[٤٤]. وذكر القلقشندي (ت ٨٢١هـ) قلماً لاستقامته[٤٥]. وقد كان العراقيون القدماء والمصريون يستخدمون أقلاماً من القصب، وأستمر استخدامه حتى العصر الأموي، وكان يُبرى قليلاً من الأمام، ثم أخذ

المسلمون يضيفون الإضافات على القلم حتى بلغت الأقلام العربية في القرن الرابع الهجري اثني عشر قلماً، لكل قلم عمل خاص(٤٦) . ومن شدة اهتمام المسلمين بالقلم قالوا: "**عقول الرجال في أطراف أقلامها**"(٤٧).

٣- المداد أو الحبر

المداد في اللغة: هو ما يُكتب به، وكل شيء أمددته مما يُكتب به فهو مداد(٤٨). ويقصد بالحبر اللون الذي يتركه على مواد الكتابة(٤٩) . والصفة الغالبة للحبر هي السواد، إلا أن العرب عرفوا ألواناً أخرى منه واهتموا بها(٥٠) .

وقد صنع المسلمون الحبر من مسحوق الفحم والهباب المذاب بسائل لزج كالصمغ وغيره، ومن الزاج وبذور الفجل والكتان وغيرها ، ومن الألوان التي استخدموها اللون الذهبي واللازوردي والياقوتي والفستقي وغيرها . كما تمكن العرب من ابتكار الأحبار الجافة التي تناسب الترحال المستمر(٥١) .

ازدهار صناعة أدوات الكتابة وأثرها في ازدهار التدوين

بعد الفتح العربي لمصر سنة ٢٠هـ أخذ المسلمون بالاعتماد بصورة كبيرة على القراطيس المصنعة فيها فكثر استخدامها بداية الفترة العباسية لاسيما في العراق، فكان للقراطيس دور هام في أغلب دواوين الدولة، حتى إن الدولة كانت تستوردها من هناك بكثرة لدرجة تكدسها في خزائن الدولة، وهو ما ذكره الجهشياري (ت ٣٣١هـ) إن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور طلب من صاحب خزائنه بيع القراطيس وقف على كثرة القراطيس في خزانته فدعا بصالح صاحب الخزائن لديه وأمره ببيعها وإن لم يعط بكل طومار إلا دانقاً(٥٢)، إلا إنه في عدل عن ذلك في اليوم الثاني وأمره بالاحتفاظ بها خوفاً حصول طارئ يمنع وصولها من مصر(٥٣) . وهذا يدل على أنها كانت المادة الرئيسة في الكتابة في دووين الدولة آنذاك.

واستمرت عملية جلبها من مصر حتى بدأ تصنيعها في بغداد بعد مدة زمنية قصيرة، حتى خُصص لها شارع كامل في الجانب الغربي من بغداد – الكرخ – عُرف بدرب القراطيس أو درب اصحاب القراطيس(٥٤)، كما ذكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) العديد من العلماء والأعلام كانوا يلقبون بالقراطيسي كانوا جميعاً من أهل بغداد أو ممن قدموا إليها وعاش فيها(٥٥).

ثم انتقلت صناعة القراطيس إلى سامراء في أيام المعتصم بالله العباسي في أوائل القرن الثالث الهجري بعد انتقال عاصمة الخلافة اليها، حيث جلب معه ارباب المهن والصناعات ومن هؤلاء قوم من مصر يعملون القراطيس، استمروا حتى نهاية القرن الثالث الهجري وبداية القرن الرابع الهجري(٥٦).

ودخلت صناعة الورق في بغداد في علاقة طردية مع ازدهار التأليف، حيث ساعدت نمو حركة الترجمة والتأليف نتيجة رعاية السلطة العباسية القائمة آنذاك للعلماء بشتى مجالات العلم والمعرفة، ساعد ذلك على ازدهار صناعة الورق وكثرة مصانعها، فبغداد عاصمة الخلافة ومركز الحضارة الإسلامية، أصبحت موطناً رئيساً من مواطن النشاط العلمي والفكري، لذا فليس غريباً أن وتنمو صناعة الورق والوراقة فيها، وتزداد حوانيت الورق ومصانعه ازدياداً يتناسب مع هذا الازدهار، حتى إنها بلغت في نهاية القرن الثالث الهجري أكثر من مائة حانوت، هذا فضلاً عن ازدياد أماكن النسخ، والوراقة لنسخ الكتب وبيعها، وليس هذا فقط؛ بل إنها اصبحت ملتقى لرجال العلم والفكر والأدب، ولم تقف صناعة الوراقة على فئةٍ معينة دون غيرها من الناس؛ بل مارس هذه المهنة أعلام من الاخبارين والرواة والقضاة والنحاة والأدباء والكتبيين وغيرهم(٥٧).

وبعد أن الاستعراض لتطور مواد الكتابة، نستطيع القول أن بدخول مصانع الورق إلى بغداد، حدث تطور مهم في مسيرة الحضارة العربية الإسلامية، فقد ازدادت الكتب واتسعت المكتبات وغصّت مجالس وحلقات العلم بالعلماء والمتعلمين والأدباء، وصارت بغداد من أعظم المراكز العلمية في ذلك الوقت(٥٨) .

وتفنّن البغداديون في صناعة الورق، ويبدو أنه بقي لفترات متأخرة، حتى بعد سقوط بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ، يشهد بذلك القلقشندي الذي أشار إلى جودة الورق البغدادي بالقول: "**إن أعلى أجناس الورق فيما رأيناه البغدادي**"(٥٩)، ليقدم لنا وصفاً لما بلغته صناعة أدوات الكتاب – والورق خاصة – من تطور، أدى بالتالي إلى تقدم في حركة التدوين التاريخي .

فوفرة مواد الكتابة فضلاً عن رخص ثمنها ساعد على أن تكون في متناول الجميع، فسهّل ذلك استخدامها من قبل المتعلمين وطلبة العلم من أجل تدوين ما يدرسونه، ثم بلغت المرحلة إلى البدء بتأليف الكتب تزامناً مع ما شهدته الدولة العربية آنذاك من اتساع في حركتها العلمية .

الخاتمة

لقد خلص البحث إلى النتائج الآتية :-

١- ابتدأ الإنسان ممارسته للكتابة مستعملاً أدوات بسيطة مصنوعة من الحجر، لاستخدامها في محاولاته الأولى في الكتابة والتي تمثلت برسم أشكال مختلفة . ثم تطور ذلك باتخاذه الرموز للتعبير الكتابي، متخذا أداةً معدنية جعل لها شكلاً معينا – كقلم – ورُقيم طيني – كورقة – مستخدماً الطرق لتثبيت الأشياء التي يريد كتابتها .

٢- تطورت مواد الكتابة عند الإنسان نتيجة الحاجة الماسة، فأخذ يستخدم مواداً أكثر تطوراً وأصبح جلد الحيوانات أو جريد النخل بديلاً أكثر سهولة له لممارسة الكتابة من الصخور أو الطين، وأكثر تعبيراً عما يجول بخاطره في نفس الوقت .

٣- أسههم العرب المسلمون في تطور أدوات الكتابة ومنها الورق وسهولة انتشاره في العالم الإسلامي، عبر إنشاء مصانع خاصة بالورق، وجلب الصناع المختصين لذلك/ وخاصةً في بدايات العصر العباسي، مما أدى إلى ثورة في مجال التأليف والكتابة ظهرت بصورة جلية واضحة في بدايات القرن الثالث الهجري، وشهدت أوج عطائها في القرن الرابع الهجري، وأستطاع المسلمون أن يصلوا في هذا القرن الى ذروة إنتاجهم الثقافي والعلمي والذي دان لهم به القاصي والداني .

٤- كان لاهتمام المسلمين بأدوات الكتابة الأثر البالغ في انتشار مصانع الورق في العديد من البلدان الإسلامية الأخرى، مما أدى إلى امتداد التأليف إلى هذه البلدان لسهولة الحصول على الورق .

من أهم الاسباب التي أدت إلى ازدهار التدوين والتأليف العلمي سواءً في بغداد – الذي شهدت تلك الولادة العلمية الناهضة للدولة الاسلامية – أو في باقي الأمصار الاسلامية هو إن الاهتمام بصناعة أدوات الكتابة والتأليف وسهولة الحصول عليها فضلاً عن رخص أثمانها، كلّ ذلك شجّع العلماء والأعلام المسلمين على الكتابة والتأليف، هذا فضلاً عن اهتمام بعض الخلفاء العباسيين آنذاك للعلماء

الهوامش

(١) بهيجة خليل، الكتابة، بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق، ج١/ص٢٢١.

(٢) المرجع نفسه، ج١/ص٢٢٢ .

(٣) أندريه باردو، سومر وفنونها وحضارتها، ص١٨٤ .

(٤) المرجع نفسه، ص١٨٦ .

(٥) أندريه باردو، سومر وفنونها وحضارتها، ص١٨٦ .

(٦) بهيجة خليل، الكتابة، ج١/ص٢٢٢.

(٧) فرانسيس روجرز، قصة الكتابة والطباعة، ص٢٨ .

(٨) بهيجة خليل، الكتابة، ج١/ص٢٦٩.

(٩) عامر سليمان، اللغة الأكدية، ص١٤٧ .

(١٠) المرجع نفسه والصفحة .

(١١) فرانسيس روجرز، قصة الكتابة والطباعة، ص٧٤ .

(١٢) المرجع نفسه، ص٧٥ .

(١٣) فرانسيس روجرز، قصة الكتابة والطباعة، ص٧٦ .

(١٤) فرانسيس روجرز، قصة الكتابة والطباعة، ص٧٧-٧٩ .

(١٥) اللخاف: واحدتها لخفة وهي حجارة بيض عريضة رقاق . الفراهيدي، العين، ج٤/ص٢٦٥.

(١٦) الفهرست، ص٣١ .

(١٧) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢/ص٤٨٢ .

(١٨) ابن منظور، لسان العرب، ج١٢/ص٤٨٧ .

(١٩) الطور : ١-٣ .

(٢٠) الزمخشري، الفائق، ج٢/ص١٥٠ .

(٢١) الفهرست، ص٣١ .

(٢٢) الجاخظ، الحيوان، ج١/ص٦٩ .

(٢٣) العلق : ١ - ٤

(٢٤) القراطيس: جمع قرطاس، وهي صحيفة مصنوعة من البردي . ابن منظور، لسان العرب، ج٦/ص١٧٢ .

(٢٥) الأنعام : ٧ .

(٢٦) محمد الجابري، الورق والوراقة، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج١٢ لسنة ١٩٦٥، ص١٢٨ .

٢٧ السيوطي، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج٢، ص١٧٣.

(٢٨) الثعالبي، لطائف المعارف، ص١٢٦ .

(٢٩) صورة الأرض، ص٣٨٥ .

(٣٠) لطائف المعارف، ص٢١٨ .

(٣١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٢/ص٤٧٥ .

(٣٢) تاريخ الادب العربي في العصر العباسي الثاني، ص١٠٣ .

(٣٣) المواعظ والاعتبار، ج١/ص١٦٣ .

(٣٤) كوركيس عواد، الورق أو الكاغد، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٤٨، مج٢/ عدد٣/ ص٤٢٦ .

(٣٥) المرجع نفسه والصفحة .

(٣٦) المرجع نفسه، مج٢٣/ص٤٢٢ .

(٣٧) الطبري، تاريخ، ج٤/ص٤٧٠ .

(٣٨) كوركيس عواد، الورق أو الكاغد، مج٢/عدد٣/ص٤٢٢ .

(٣٩) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص٣٨٢ .

(٤٠) كوركيس عواد، الورق أو الكاغد، مج٢/عدد٣/ص٤٢٢ .

(٤١) الحموي، معجم البلدان، ج٢/ص٩٥ .

(٤٢) المصدر نفسه، ج٦/ص٢٨٥ .

(٤٣) كوركيس عواد، الورق أو الكاغد، مج٢/عدد٣/ص٤٢٣ .

(٤٤) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ج٦/ص٢٦٩ .

(٤٥) صبح الأعشى، ج٢/ص٤٤٠ .

(٤٦) عبد الفتاح عبادة، انتشار الخط العربي، ص١٣ .

(٤٧) الزمخشري، ربيع الابرار، ج٢/ص٢٤٩ .

(٤٨) ابن سيده، المحكم، ج١٣/ص٦ .

(٤٩) صبح الاعشى، ج٢/ص٤٦٠ .

(٥٠) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤/ص٢٠٠ .

(٥١) الصولي، ادب الكاتب، ص١٢٧ .

(٥٢) الدانق: مفردة فارسية تعني سدس الدرهم. أنظر: إبراهيم سليمان، الأوزان والمقادير، ط١، مطبعة صور الحديثة، (لبنان ١٩٦٢)، ص٢٦. أما الطومار: لفظة تعني الصحيفة. وكانت في القراطيس المصرية بطول ٣٠ ذراعاً وعرض أكثر من شبر. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٥٠٣.

(٥٣) أنظر: الجهشياري، كتاب الوزراء والكتاب، ص١٣٨.

(٥٤) كوركيس عواد: الورق والكاغد صناعته في العصور الإسلامية، ص٤١٥.

(٥٥) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ، ج٩، ص٨٦.

(٥٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٥٧٧.

(٥٧) حبيب الزيات :الوراقة والوراقون في الإسلام، مجلة المشرق، بيروت، ١٩٧٤.

(٥٨) احمد أمين، ضحى الاسلام، ج٢/ص٢٤ .

(٥٩) صبح الاعشى، ج٢/ص٤٦٠ .

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- **احمد أمين،**

١- ضحى الإسلام، (مصر ١٩٥٣) .

- **أندريه بارو،**

٢- سومر وفنونها وحضارتها، ترجمة: عيسى سلمان وآخرون، (بغداد ١٩٧١).

- **ابن أبي اصيبعة، موفق الدين احمد بن القاسم السعدي (ت ٦٦٨هـ)،**

٣- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات دار الكتب العلمية، (بيروت ١٩٩٨) .

- **بهيجة خليل،**

٤- حضارة العراق، (بغداد ١٩٨٥) .

- **الثعالبي، عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩هـ)،**

٥- لطائف المعارف، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار إحياء الكتب العربية، (القاهرة ١٩٦٠) .

- **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ)،**

٦- كتاب الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة .

- الجهشياري، محمد بن عبدوس، (ت ٣٣١هـ)،

٧- كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ سلبي، مطبعة البابلي الحلبي وأولاده، (القاهرة ١٩٣٨).

- **حبيب الزيات،**

٨- الوراقة والوراقون في الإسلام، مجلة المشرق، (بيروت، ١٩٧٤).

- **الحموي، ياقوت بن عبدالله (ت ٦٢٦هـ)،**

٩- معجم البلدان، دار الفكر، (بيروت د.ت) .

- **ابن حوقل، أبو القاسم ابن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ)،**

١٠- صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت د.ت) .

- **الخطيب البغدادي، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)،**

١١- تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتاب العربي، طبع أوفسيت.

- **الزمخشري، محمود بن عمر(ت ٥٣٨هـ)،**

١٢- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، (بغداد ١٩٨٠) .

١٣- الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، (بيروت د.ت) .

- **ابن سيدة، علي بن سيده المرسي (ت ٤٥٨هـ)،**

١٤- المحكم والمحيط الأعظم، دار الكتب العربية، (بيروت ٢٠٠٠) .

- **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)،**

١٥- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، (القاهرة، ١٩٣٨).

- **شوقي ضيف،**

١٦- سلسلة تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول، دار المعارف، (بيروت د.ت) .

- **الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)،**

١٧- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٨) .

- **عامر سليمان،**

١٨- اللغة الاكدية، (الموصل ١٩٩١) .

- **ابن عبد ربه، احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)،**

١٩- العقد الفريد، دار إحياء التراث، (بيروت ١٩٩٩) .

- **عبد الفتاح عبادة،**

٢٠- انتشار الخط العربي، (مصر ١٩١٥) .

- **الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت ١٧٥هـ)،**

٢١- العين، تحقيق: مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال، د.ت .

- **فرانسي روجرز،**

٢٢- قصة الكتابة والطباعة، ترجمة: احمد حسين العامري، (القاهرة ١٩٦٩) .

- **القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)،**

٢٣- صبح الأعشى في صناعة الانشا، وزارة الثقافة، (سوريا ١٩٨١) .

- **كوركيس عواد،**

٢٤- الورق أو الكاغد، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، (دمشق ١٩٤٨) .

- **محمد الجابري،**

٢٥- الورق والوراقة، مجلة المجمع العلمي العراقي، (بغداد ١٩٦٥) .

- **ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)،**

٢٦- لسان العرب، دار صادر، (بيروت ١٤٠٥هـ) .

- **ابن النديم، محمد بن إسحاق (ت ٤٣٨هـ)،**

٢٧- الفهرس، تحقيق: رضا تجدد، (قم د.ت) .

- **اليعقوبي، أحمد بن اسحاق (ت بعد ٢٩٢هـ)،**

٢٨- تاريخ اليعقوبي، ليدن، ١٨٨٣م.